شعر هبة الله بن الفضل القطان

(جمع ودراسة)

د. صالح أحمد رشيد

كلية البنات- الجامعة الإسلامية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغر الميامين.

وبعد: فلقد لفت انتباهي الشاعر هبة الله بن الفضل القطان البغدادي، حينما كنتُ اكتب أطروحة الدكتوراه في الحقبة التي عاش فيها. وقد كنتُ أقدم رجلاً، وأؤخر أخرى في جمع شعره ودراسته؛ فقد كنتُ متردداً في الحكم على شخصيته وطبيعتها، فضلاً عن شعره وأغراضه.

كنتُ أتحرج أن أقدم للقارئ شاعراً وصفه بعضهم بأنه ماجن وخليع، على الرغم من أنني لم أكن حينها أؤيد هذا الرأي تأييداً تامّاً؛ فقد كان لي حذر شديد وتحفظات نموا لديَّ حتى رأيتُ فيه غير ما يرى بعض القدماء، وقلتُ في نفسي: للقدماء أسبابهم، ولنا أسبابنا.

أما القدماء فقد كان الشاعر معاصراً لهم، وديوانه بين أيديهم وعصرهم غير عصرنا. وأما نحن فنستند على ما بأيدينا من شعره، ونأخذ بعض ما جاء من أخباره بحذر وتأنٍّ شديدين. فالشاعر كان منبوذاً سياسياً؛ قيل: إنه هجا الأكابر، ولكن سكت القدماء عن ذلك الشعر، فما وصل إلينا منه شيء؛ من ثَمَّ قد تكون هناك دوافع سياسية وراء إلصاق صفات معينة فيه، مثل المجون، الخلاعة، سلاطة اللسان... إلخ. وهي صفات لا يملك الباحث ردَّها، ولا تأييدَها.

ومن ثَمَّ أردتُ أن أقدم الشاعر صريحاً- كما هو- عن طريق شعره المجموع، من غير أن نتسرع في إصدار الحكم عليه أو له. فسيكون بمقدور القارئ أن يستنطق النَّصَّ، ثم يأوي ويركن لما يراه من رأيٍ مناسب.

سيجد القارئ أن الباحث قد مهَّد لذلك بدراسة عن حياة الشاعر ونفسيته؛ فله أن يكون موضوعياً، فيأخذ ما أراد، ويدع ما لا يراه تحليلاً منطقياً أو علمياً.

لقد جمع الباحث شعر هبة الله القطان من أُمَّهات الكتب وبطونها، وبذل في ذلك جهداً لم يكن بالقليل- أو هكذا أظنُّ- لما يتطلب هذا العمل من الدِّقَّة والأناة والصبر.

وقع هذا البحث في مبحثين:

بحث الأول في حياة الشاعر ونفسيته وأغراض شعره بالرجوع إلى المصادر أولاً، ثم إلى شعر الشاعر حينما يغيب الخبر.

أما الثاني فقد تضمن شعره المجموع، وهو عمل تحقيقي له أصوله وقواعده، وقد اتبعتُ في الجمع منهجاً وصفتُهُ قبل الولوج في الجمع.

ولم يُدرس الشاعر إلا في صفحتين من كتاب (عصر الدول والإمارات) للدكتور شوقي ضيف[١].

وأخيراً أتقدم بوافر الشكر والامتنان إلى الأستاذ الدكتور ناظم رشيد أستاذ الأدب العباسي في كلية التربية للبنات– جامعة بغداد الذي حثني على كتابة هذا البحث. وأتقدم بالشكر للأستاذ الدكتور رافع أسعد العاني الذي تولى قراءته وأبدى ملاحظاته القيمة حوله.

حياته:

هو أبو القاسم هبة الله بن الفضل بن القطَّان المَتُّوثِيُّ البغداديُّ[٢]. وقد اشتُهر بابن القطَّان، وهو لقبٌ لَحِقَ جدَّه عبدالعزيز بن محمد بن الحسين؛ ربَّما لأنه كان يعمل في القطن[٣].

أما مَتُّوث فهي قلعة حصينة بين الأهواز وواسط، وقد نُسب إليها جماعة من أهل العلم والحديث[٤].

وُلد ابن القطَّان في بغداد، ونَشَأَ فيها. وذلك في يوم الجمعة السابع من شهر ذي الحجة سنة (٤٧٨هـ)[٥]، وقيل: سنة (٤٧٧هـ)[٦].

يبدو أنه التحق بالكتاتيب للتعلُّم والحفظ، ومال إلى دراسة الطِّبِّ فكان طبيباً وكحَّالاً أيضاً؛ فوضعه ابن أبي أصيبعة في طبقاته ذاكراً بعض مؤلفاته فيه[٧]. غير أن الشعر غلب عليه، فاشتهر به، وذاع صيته، وعلا شأنه.

وغلب عليه من الشعر الهجاء، كما جاء في (وفيات الأعيان): وأخبرني بعض المشايخ أنه رآه وقال: كنتُ يومئذٍ صبياً فلم آخذ عنه شيئاً؛ لكنني رأيتُهُ قاعداً على طرف دكَّان عطَّار ببغداد، والناس يقولون: هذا ابن الفضل الهجَّاء [٨].

أجمع الأدباء على أن ابن الفضل القطَّان كان ظريفاً لطيفاً. ووصل الأمر بابن خلكان إلى القول: لولا إيثار الاختصار لذكرتُ من أحواله ومُضْحِكاته شيئاً كثيراً؛ فإنه كان آيةً في ذلك [٩].

ولم يصل من أخباره ونوادره إلا الشيء اليسير الذي يشي بشخصية الشاعر وتكوينه النفسي، ولم يمنع ذلك من سَلَاطة لسانه وجريانه بالألفاظ التي لا تناسب الذَّوْق العامَّ، وإن كانت معبِّرةً عن حقيقة أصحابها.

كانت نفسية ابن الفضل القطَّان ساخرةً من كل شيء، ولذلك لم يسلم من لسانه شيءٌ حتى الخليفة؛ هكذا قال القدماء، وإن لم يُعثر على أي ببيت له في هجاء ذوي السُّلْطان، وربَّما كان ذلك سبباً في ابتعادهم عن تدوين أشعاره(١٠).

وتتضح هذه السُّخْرية بجلاء في حكاية حصلت له مع الحيص بيص، وكان بينهما مُشاحنة ومُباغضة وتهاتر(١١). وكان الحيص بيص قد مرَّ بكلبة ذاتِ جِرَاء، فضرب أحدَ أولادها بعقب السيف فقضى عليه، فقام ابن الفضل القطَّان بكتابة أبيات في الحادثة وعلَّقها في عُنُق الكلبة، ورتَّب لها مَنْ دَفَعَها تجاه الوزير كالمستغيثة، وكأنَّ الشِّعْر لها وليس له. فلما دخلت أُخذت الورقةُ إلى الوزير، فإذا فيها(١٢):

١- يا أيها الناس إن الحيص بيص أتى ... بفعلةٍ أورثته الخزيَ في البلدِ

٢- هو الجبان الذي أبدى شجاعتَهُ ... على جريٍّ ضعيف البطش والجَلَدِ

٣- وليس في يدهِ مالٌ يَدِيه به ... ولم يكن ببواء عنه في القَوَدِ

٤- فأنشدتْ أُمُّه من بعدما احتسبت ... دمَ الأُبيلقِ عند الواحدِ الصَّمَدِ

٥-"أقول للنفس تأساءً وتعزيةً ... إحدى يديَّ أصابتني ولم تُرِدِ

٦-كلاهما خَلْفٌ من فَقْد صاحبِهِ ... هذا أخي حين أدعوه وذا وَلَدي"(١٣)

فمن أكثر ألوان السُّخْرية تأثيراً أن تُضْفي مشاعر الإنسان على الحيوان على غرار هذه القصة الشِّعْرية.

إن النفسية الساخرة تحتاج إلى عين راصدة دقيقة في تقصِّي الأشياء وترقُّبها، وإلى ذكاءٍ حادٍّ قادرٍ على الرَّبْط بين الأشياء المتباعدة حتى تبدو عنده متقاربةً، وربما الرَّبْط بين الأشياء المتناقضة وجَعْلها كأنها واحدةٌ بما يشي بالمفارقة.

ومثل هذا الذكاء الحادِّ نجده بوضوح في شخصية الشاعر هبة الله بن الفضل القطَّان، في ضوء ما وصل إلينا من أخباره:

من ذلك أنه دخل يوماً على الوزير ابن هبيرة، وعنده نقيب الأشراف، وكان يُنسب إلى البُخل، وكان في شهر رمضان والحرُّ شديد. فقال له الوزير: أين كنتَ؟ فقال في مطبخ سيدي النقيب. فقال: ويحك! أيش عملتَ في شهر رمضان في المطبخ؟ فقال:... كسرتُ الحرَّ. فتبسَّم الوزير، وضحك الحاضرون، وخجل النقيب (١٤).

ومن ذلك أيضاً ما كان يحدث بينه وبين صاحبه المفضَّل الحيص بيص؛ فقد حضر ليلةً عند الوزير الزينبي، فأخذ ابن الفضل قَطَاةً مشويةً وقدَّمها إلى الحيص بيص فقال: يا مولانا هذا الرجل يؤذيني. فقال الوزير: كيف ذلك؟ قال: لأنه يشير إلى قول الشاعر:

تميم بطُرْق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سُبْل المكارم ضَلَّتِ(١٥)

وكان الحيص بيص تميمياً(١٦).

ومن أخبار ذكائه وفطنته أنه كان يُظْهِر الفرح والسرور في بعض الاحتفالات يشير إلى قول العامَّة: ارقص للقرد في زمانه ، وقد نظم شعراً في هذا الأمر فقال:

كلُّ من صفق الزما ن له قمت أرقص(١٧)

وقد لفت انتباه ابن خلكان هذا المعنى؛ فحاول إرجاعه إلى جذوره، فأورد شعراً لأحدهم يشير إلى أن أصل هذه العبارة مقولة لأحد أكاسرة الفُرْس، وذلك في قول أحدهم:

إذا رأيتَ امْرَءاً وضيعاً قد رفع الدَّهْرُ من مكانه
فكن له سامعاً مُطيعاً معظماً من عظيم شانه
فقد سمعنا بأن كسرى قد قال يوماً لترجمانه
إذا زمان السباع ولَّى فارقص للقرد في زمانه(١٨)

فإذا كانت حياته تقوم على السُخْرية اللاذعة، والذكاء الذي يرفد هذه السُخْرية والعين الثاقبة التي تستطيع أن تقع على الشيء كما هو، فضلاً عما كان عليه من ثقافة ومعرفة بأخلاق العرب، وجدنا الشاعر أقرب إلى النَّقْد الاجتماعي منه إلى الهجاء اللاذع والفاحش. فضلاً عن مهنة الطِّبّ التي ربَّما تركت أثرها العِلْمي في هجاء الشاعر، فرأى فيه علاجاً لأخلاق الناس، من ثَمَّ كان ألصقَ بنفسيته عما سواه من الأغراض، كما في قوله:

يا أخي الشَّرطُ أملكُ لستُ للثَّلْب أتركُ(١٩)

وقوله:

عند الذي طرَّف بي أنه قد حطَّ من قدري وآذاني

فالحَبْس ما غيَّر لي خاطراً والصَّفْعُ ما لـيَّن آذاني[٢٠]

فإن صاحب الطَّبْع لا يترك طبعه؛ لأن الطَّبْع غلَّاب.

عاش الشاعر هبة الله بن الفضل القَطَّان ثمانين سنةً؛ إذ تُوفي في سنة (٥٥٨هـ) على اتفاق بين المؤرخين والأدباء، لا سيَّما أنهم كانوا يعتمدون سنة الوفاة في تسجيلهم للأحداث التاريخية في ذلك العصر.

ونراه في آخر حياته يستجدي الوزير ابن هبيرة؛ فيذكر له أنه أصبح شيخاً كبيراً فانياً فقد أصبح (هِمًّا)، و(يَفَنًا)، وقد تجاوز (العمرين). ويذكر ذلك كله في قصيدته الجيمية طالباً منه أن يتكفَّلَهُ بالعناية والرِّعاية والاهتمام. فبه حاجة إلى أسباب الحياة ما دام حيًّا.

ويبدو أن الوزير كان يتثاقل منه، وربَّما صدَّه أو جافاه، حتى نجد الشاعر يكاشفه في قوله:

١- **شعريَ قد بطَّ جيوبَ الورى فلو أردتَ المنعَ لم تقدرِ**

٢- **و(أزهر السمَّانُ) لا ينثني ما دام حيًّا عن أبي جعفرِ**[٢١]

مذكِّراً بحكاية أزهر السمَّان وأبي جعفر المنصور، الذي كان يصاحب أزهر السمَّان في حياته قبل أن يتولَّى الخلافة، فلما آلت الخلافة له كان الأزهر السمان يتردَّد عليه ليقضي حاجته، وعلى الرُّغم من أن أبا جعفر كان يتثاقل من مجيئه، لكنه كان يقضي له حق الصُّحْبة. فنجد الشاعر يطالب الوزير أن يقضي حوائجه لما كان بينهما من الصُّحْبة، وإن كان الأمر يبدو ثقيلاً عليه.

حتى أراحه الله تعالى في سنة (٥٥٨هـ)، ودُفن بمقبرة معروف الكرخي في بغداد.

شعره المجموع

ذكر كلُّ من ترجم للشاعر هبة الله بن الفضل القطَّان أن له ديواناً أكثره جيد وهو مشهور ومُتداوَل بأيدي الناس. وأشار العماد الأصبهاني إلى أن كثيراً من شعره لم يُدوَّن؛ لأن أحداً لم يَسْلَم من لسانه حتى الخليفة نفسه.

فإذا كان الشاعر مشهوراً؛ فإن ضياع شعره جعل منه مغموراً غير معروف في زماننا؛ إذ لم يتبقَّ من شعره إلا مختارات أثبتها هذا المصدر أو ذاك، على وفق الذَّوْق الذاتي لمن يختار. ثم إن مَنْ يختار لا يذكر بالضرورة القصيدةَ كاملةً، بل بما يناسب المقام إلا ما شاء الله.

فحفظت لنا المصادر ما يربو على (٣٠٠) بيت من شعره، أظنُّ ظنًّا أنه لم يكن أفضلَ مما تُرك من شعره. وإن كان فيه التنوع مثل الحادثة أو القصة، وفيه الفكاهة والطرافة، مما يحتاج إليه صاحب الأدب حينما يأخذ زهرةً من هنا وزهرةً من هناك، يقضي بها أوقات الحياة المتنوِّعة من جدٍّ أو هزل، وضحك أو بكاء... إلخ. ذلك أن الخبر محطُّ اهتمام القدماء، وإن كان الشعر المرويُّ فيه قليل الجودة أو ضعيف الصياغة.

إن الغالب على شعره– كما في شعره المجموع، وكما قال القدماء– هو الهجاء. وهو هجاء ساخرٌ نابع من نفسيةٍ ناقدةٍ لواقع الحياة، مستوعبةٍ لدَوْر الإنسان فيها. جرأةٌ في النَّقْد تصل إلى حدِّ التعرض لذوي الجاه والسُّلْطان، مما يعرضه للعقاب والإيذاء. محملة بالمرارة من واقع حياة الناس؛ نجد ذلك بوضوح في هجائه اللاذع للعسكر الذي غزا تِرْمِذ، وفشل في تحقيق النَّصْر. بل وصل به الأمر إلى هجاء نفسه والازدراء بها.

لكنَّ كثرة السُّخْرية ربَّما قادت الشاعر– أحياناً قليلة– إلى استعمال بعضٍ من الألفاظ غير اللائقة، وإن كانت مُعبِّرةً– أحياناً– عن واقع الحياة. ولكن ذلك لا يشفع له أن يتعدَّى على المواضعات الأخلاقية والدينية، مما يخدش الحياء والذَّوْق العامَّ.

وهذا الألفاظ في ضوء النصوص المثبتة للشاعر لا تُعدُّ شيئاً إذا وُزنت بالقياس إلى مجموع شعر الشاعر.

أما أهمُّ خصائص أسلوب الشاعر فهو يتسم على نحوٍ عامٍّ بالقوة في التركيب والصياغة. فقد كان الشاعر بليغاً–أو هكذا يُخيَّل إليَّ–؛ إذ كان على معرفة تامَّة بطرائق

العرب في كلامها، وبعاداتهم وتقاليدهم، ولذا كان يراعي ذلك كلَّه في شعره المنظوم. ولا نجد العبارة تضعف عنده إلا في بعض القوافي التي هي ليست- إذا عُدَّتْ- بذات بالٍ.

فتبلغ الجودة ذروتها في قصيدته اللامية التي قال عنها العماد الأصبهاني: يُغنَّى بها في بغداد، في غاية الحُسْن والرَّوْنق الصافي [٢٢]. وهي أطول قصائده وأجملها، حتى كأنَّ اللغة أسلمت قيادها للشاعر، فراح ينظم بخفة وحلاوة وسلاسة. فكأنَّ أسلوبه سهلٌ ممتنعٌ؛ فلا ضبابية في الصورة، ولا وعورة في اللفظ ولا اختلال في المعنى.

تكتسب هذه القصيدة خصوصيتها؛ لكون الشاعر لم ينظمها في الهجاء، وإنما في المديح، وقد تقدَّمها غَزَلٌ رقيق، مما يشي أن الشاعر كان بارعاً في هذا الغَرَض، وهو ما يبدو في بعض القطع الشعرية الأخرى التي جاءت في الغَزَل.

ويرجح الباحث أن ديوانه المفقود قد حوى غَزَلاً يكاد يقارب الهجاء المدوَّن في شعره المجموع. أما المديح فقد كان من أكثر الأغراض طلباً لحاجة الشاعر والممدوح، لكن لم نجد منه إلا هذه القصيدة والقصيدة الجيمية التي يغلب عليها شكوى حال الشاعر أكثر من المديح؛ ربَّما لافتقاد هذا الغرض للصدق أو لأنه تقليديٌّ عزف عن ذكره المؤلفون في ظلِّ عصر عُرف بغلبة الروح الدينية عليه سواءٌ كانت موافقةً لأهل العلم أم غير موافقة.

ولما كان الهجاء ذا صبغة شعبية فقد كَثُرت الألفاظ الشعبية في شعره الهجائي، وهي ألفاظ ليست عامّيةً ولكنها أقربُ إلى طبقة الشَّعب منها إلى أهل اللغة والاختصاص. وتكثر مثل هذه الألفاظ على نحوٍ واسعٍ في قصيدته الكافية التي هجا بها قاضي القضاة الزينبي، والرجوع إلى القصيدة يُغني عن التمثيل لمثل تلك الألفاظ.

ويُلاحظ أن الشاعر قد أكثر أيضاً من استخدام الألفاظ الفارسية حينما هجا الغزنوي الواعظ- وكان فارسيَّ الأصل-. ويؤشر استخدامه لتلك الألفاظ إلى معرفته للغة الفارسية، وربَّما كان مُحيطاً بها. كما يشير إلى أسلوبه الشعري؛ لأنه كان يراعي مستوى السامع الثقافي، فيورد عليه ما يعرفه سواءٌ في الجانب اللغوي أم في الجانب الديني بوصفه واعظاً.

أما صُوَرُهُ الشعرية فتكاد تكون مألوفةً في الأسلوب والألفاظ والموسيقى الشعرية، وإن لم تخلُ صوره من الجِدَّة والابتكار. وتشير الصورة الشعرية لدى الشاعر إلى أنه كان واسعَ الثقافة في الجوانب التاريخية والدينية والأخلاقية، فضلاً عن الذكاء الذي جعله يصوغ بعضاً من الصور الجديدة؛ لدقَّة ملاحظته، وحُسْن ربطه بين الأشياء ومتناقضاتها.

أما الجوانب التاريخية فتتضح في صورة أزهر السمَّان صاحب أبي جفعر المنصور، وأما الدينية فتظهر بجلاء في قصيدته الدالية، وأما الأخلاقية ففي أغلب شعره لا سيَّما في تعرضه لبعض ذوي المناصب. وقد أورد الباحث بعض الأخبار التي أبدت قوةَ الذكاءِ والملاحظةِ لدى الشاعر، وتأثيرَ ذلك على الصورة الشعرية وصياغتها.

وقد كان منهجي في جمع شعر الشاعر على النحو الآتي:

١. ترتيب قوافي الشعر على الأحرف الهجائية.
٢. بدأتُ في ترتيب القوافي بالكسرة، فالضمة، فالفتحة، فالسكون.
٣. اعتماد المصدر الأقدم تاريخاً مصدراً للرواية، والروايات الأخرى تكون للمقابلة، وإذا أضافت إحدى الروايات أبياتاً للمصدر الرئيس فيُذكر في الهامش.
٤. حاولتُ أن أبينَ مناسبة النَّصِّ في بداية كلِّ قصيدة أو مقطوعة أو نتفة أو بيت مفرد.
٥. حاولتُ شرحَ بعض الألفاظ غير المشروحة، للوقوف على المعنى واضحاً، والترجمة للأعلام الذين يرد ذِكْرهم في مناسبة النَّصِّ.

وبعد، فهذا جهد المقل، حسبي أني سعيتُ مُخْلِصاً لخدمة لغة القرآن الكريم؛ فإن وُفِّقتُ فلله الحمد والشُّكْر، وإن شاب عَمَلي نَقْصٌ أو زَلَل فاللهَ أسأل أن يعفو ويصفح؛ إنه نعم المولى ونعم النصير.

قافية الباء

(١)

قال[٢٣] يهجو البديع الإسطرلابي[٢٤]:

لا غـــرو إن دهـــي الحجـــيج وإن ... رمـــــوا عنـــــه بنكبـــــه
حـــــجَّ البديـــــعُ وعرســـــه ... وفتـــاه فانظـــر أيَّ عصـــبه؟
فثلاثـــــة مـــــن مـــــنزلٍ: ... عـــــلق[٢٥]، وقـــوَّادٌ، وقحبـــه

(٢)

وقال[٢٦] في أبي بكر وعُمر ابني السامريِّ البَيِّع[٢٧]:

أبـــو بكـــر، أخـــو عُمَـــرٍ، ســـباني ... بســـــهمَيْ مُقْلتيـــــه وحاجبَيْـــــهِ

إذا مَشَـــيَا معـــي أبصـــرتُ أُفقـــاً أحـــاط بـــه السَّـــنا مـــن جانبَيْـــهِ
يمـــوت الحاســـدون إذا رأونـــا فنخـــرج (بـــالنَّبيِّ وصـــاحبَيْهِ)[٢٨]

قافية الثاء

(٣)

قال[٢٩] يمدح الدواء المعروف بـ(برشعثا) حينما أَلَّف تركيبه أوحد الزمان:

تجرعـــتُ (برشـــعثا) وحـــالي أشـــعثُ فمـــا نزلـــت بـــي بعـــده عِلَّـــة شـــعثا
ولـــو بعـــد عيســـى جـــاز إحيـــاء ميـــتٍ لأصـــبح يحيـــا كـــلُّ ميـــتٍ ببرشـــعثا

قافية الجيم

(٤)

وقال[٣٠] في آخر عمره يمدح ابن هُبَيْرة[٣١]:

أهـــلاً وســـهلاً بمولانـــا، فأوبتُـــهُ لكـــل شـــاكٍ بهـــا مـــن ضُـــرِّه فـــرجُ
لا أعـــدمَ اللهُ فيـــك الخَلْـــقَ نافعَهـــم يـــا مَـــنْ بـــه تفخـــر الـــدنيا وتبـــتهجُ
ودام جـــودُكَ، عـــونَ الـــدين يغمرنـــا يـــا مَنْ تعـيش بمـا تسـخو بـه المهـجُ[٣٢]
اصْـــنَعْ لِـــهَمّ أخـــي هَـــمٍّ تقلقلُـــهُ فصـــدرُهُ ضـــيِّقٌ مـــن رعبـــه حَـــرِجُ[٣٣]

ومنها :

مـولايَ، قـد قَصُـرتْ بـي نهضـتي كبَـراً فمـــا علـــيَّ بشـــكوى فاقـــةٍ حَـــرَجُ[٣٤]
يـا خيـرَ مَـنْ لاحـظَ المضـطرَّ نائلُـهُ وخيـــرَ ذي كـــرمٍ فـــي بابـــه ألـــجُ
أنـــتَ المـــؤمَّلُ للغمَّـــاء تكشـــفُها إذا تخطفـــتِ المستصـــرخَ اللُّجَـــجُ[٣٥]
يـــا محســـناً طـــردت آلاؤه كرمـــاً مـــا فـــي فـــؤادي مـــن الـــلأواء يعتلـــجُ[٣٦]
طيِّـــبْ بقيـــةَ عُمْـــري بالتعهُّـــدِ لـــي يـــا مَـــنْ لـــه طيـــب ذكـــرٍ نشـــرُهُ أرِجُ[٣٧]
يـــا مَـــنْ لـــه حُـــجَّةٌ بالعـــزِّ قائمـــةٌ ارْحَـــمْ لـــك الخيـــرُ شـــيخاً مـــا لـــه حُجَـــجُ
فـإنَّ مَـنْ جـاوز العُمْـرَيْنِ قـد خَرِبـتْ بالعجـــزِ منـــه أعـــالي القصـــرِ والأَزَجِ[٣٨]
ففيـــمَ تخـــدعني الـــدنيا بزينتهـــا والحـــينُ قـــد حـــانَ والأحبـــابُ قـــد درجـــوا
والـــرزقُ مـــا دمـــتُ حيًّـــا أبتغيـــه كمـــا يرومُـــهُ يـــافعٌ فـــي حرصـــه لهـــجُ[٣٩]

ومنها:

آنَ الأوانُ وأعمـــالي التـــي سَـــلَفتْ ... عِقْـــدٌ يجـــاور فيـــه دُرَّهُ السَّـــبَجُ[٤٠]

وذو الجـــلال إذا مـــا شـــاء محَّصـــها ... برحمـــــةٍ منـــــه بالغفـــران يمتـــزجُ

إنَّ الذنـــوبَ ذَنُـــوبُ العَفْـــوِ يغســـلُها ... فيطمـــئنُّ بهـــا فـــي الحشـــر منـــزعجُ

وأنـــت والله فـــي علـــمٍ وفـــي عَمَـــلٍ ... مـــن يســـتقيمُ بـــه فـــي العـــالم العِـــوَجُ

أولـــى بمجـــدِكَ أن تحنـــو علـــى يَفَـــنٍ ... مديحُـــهُ بالـــذي أوليـــتَ مبـــتهجُ[٤١]

فالعـــدلُ عنـــدك والإحســـانُ ســـوقهما ... قامـــت علـــى قـــدمٍ مـــا شـــانها عَـــرَجُ

ومـــا أحـــاول مـــن نعمـــاءَ تَسْـــبِغُها ... فثوبهـــا لـــي بمـــا أرضـــاه ينتســـجُ[٤٢]

جنابُـــكَ الرحـــب يـــا أنـــدى الكـــرام يـــداً ... فيـــه بصـــنعك عنِّـــي الضِّـــيقُ ينفـــرجُ

ومنـــك آمُـــلُ بعـــد الله عارفـــةً ... بهـــا يزيّـــلُ عنَّـــا الشـــدَّةَ الفـــرجُ

فـــانظر إلـــيَّ بإحســـانٍ تحـــوزُ بـــه ... حُسْـــنَ الثـــواب الـــذي تعلـــو بـــه الـــدَّرَجُ

فلـــيس إلاكَ مُجـــدٍ نســـتجيرُ بـــه ... مـــن الخطـــوب التـــي تنكيلُهـــا ســـمجُ[٤٣]

فالنـــاس بالنـــاسِ فـــي الأزمـــانِ بعضُـــهمُ ... للبعـــضِ فـــي ظُلَـــمٍ تغشـــاهُم سُـــرُجُ

قافية الحاء

(٥)

قال[٤٤] في بعض المتأدبين:

ســـــعى إحســـــانه بينـــــي ... وبـــــين الـــــدهرِ بالصـــــلحِ

أيـــــاد مـــــلأتْ بيتـــــي ... علـــــى بيـــــت مـــــن المـــــدح

قافية الدال

(٦)

قال[٤٥] يهجو الحيص بيص[٤٦] وكان قد وكز كلباً بسيفه فقتله:

يـا أيهـا النـاس إنَّ الحـيص بـيص أتـى ... بفعلـةٍ أورثتـه الخـزيَ فـي البلـدِ[٤٧]
هـو الجبـان الـذي أبـدى شـجاعتَهُ ... علـى جُـرَيٍّ ضـعيفِ الـبَطْشِ والجَلَـدِ[٤٨]
[ولـيس فـي يـده مـالٌ يَدِيـهِ بـه ... ولـم يكـن ببـواء عنـه فـي القَـوَدِ][٤٩]
فأنشـدتْ أُمُّـهُ مـن بعـدما احتبسـت ... دمَ الأُبَيْلـقِ عنـد الواحـد الصـمدِ[٥٠]
"أقـول للـنفس: تأسـاءً وتعزيـةً ... إحـدى يـديَّ أصـابتني ولـم تُـردِ
كلاهمـا خـلف مـن فقـد صـاحبَهُ ... هـذا أخـي حـين أدعـوه وذا وَلَـدي"[٥١]

(٧)

وكتب[٥٢] إلـى البرهـان علـي الغزنـوي الـواعظ[٥٣]، وكـان يـذكر الشـاعر فـي وعظـه ويتعرض به:

إلـى متـى تَجْنـي وتستعـدي؟ ... يـا سـيِّئَ التـدبير والعهـدِ
فحاسـبِ الـنفسَ علـى كـلِّ مـا ... تأتيـه مـن جَـوْرٍ علـى عَمْـدِ
ولا تغاثِـثْ بعتـابي علـى ... إغضـاءِ وافٍ صـالحِ الـوُدِّ[٥٤]
واتْـرُكْ برأيـي دَسْتـنا قائمـاً ... واجعلـه بالشِّـطْرَنْجِ لا النَّـرْدِ[٥٥]
ففصُّـكَ المعلـول فـي اللَّعْـنِ لـي ... يُحَـرِّمُ القَمْـرَ بـلا بُـدِّ
وسالـفُ الصُّـحْبة لا تَـنْسَـهُ ... ولا تُـثَوِّرْ بـالأذى حِقْـدي
ولا تجـدِّدْ بعتـابي مـن الـ ... إخـوانِ مـا سـكَّنتَ مـن وجـدي
دعنـي أُصـادي الـنفسَ عـن غيظهـا ... منـك بشكـر البـرِّ والرِّفـدِ[٥٦]
إنَّ الأذى والمـنَّ قـد صـيَّرا الـ ... لبـاسَ منـه خَلَـق البُـرْدِ
وعـاد والله عقوقـاً بـه ... تأكـلُ يـا سـيِّدَنا كِبْـدي
واعجبـاً مـن فَطِـنٍ كَـيِّسٍ ... إيمانُـهُ يـأوي إلـى زُهْـدِ
أبعـد عشـرين خَلَـتْ وانقضـتْ ... بـين العـراقَيْنِ إلـى نَجْـدِ[٥٧]

ما غيَّرتْ بغدادُ في هذه الـ ... مدَّةِ سُوءَ الخُلُق الجَعْدِ[٥٨]

والشَّوْك والثلجُ على حالةٍ ... يشوبُ حرَّ الوَخْزِ بالبردِ[٥٩]

وأنتَ تنهى الناسَ عن غيبةٍ ... في مثلها تأمرُ بالرَّدِّ

إما بتخويفٍ من النار أوْ ... بنوعِ تشويقٍ إلى الخُلْدِ

وبعد ذا تفعلُ بي هكذا؟ ... زِنْهارْ من سالوسِك السَّرْدِ[٦٠]

وهذه العجمةُ من عندك اقـ ... ـتبستُها ما هي من عندي

أنا وأغراضي على تركيَ الـ ... ـجدالَ بين العكس والطَّرْدِ

ارجِعْ إلى الله ودعني ولا ... تَرْمِ بسَهْمِ الطَّيْش من بُعْدِ

من قَطَعَ الوصلَ بلا موجبٍ ... ذاكَ الذي يصلُحُ للصَّدِّ

هَبْني كشيءٍ لم يكن أو كمن ... وسَّدَهُ الحفَّارُ في اللَّحْدِ

وَفَّقَنا الله وإياكَ يا ... مولايَ للخير وللرَّشَدِ

لا تُصْلِحِ الفاسدَ منِّي بما ... يخرجُ من خردٍ إلى شَدِّ[٦١]

ودرْدِسَرْ يا نور عيني مكُنْ ... لضيِّق الأنفاس بالدَّرْدِ[٦٢]

ولا تُنَغِّصْ من دِنانٍ خلت ... لبختيَ الأسودِ بالدُّردي[٦٣]

تُرِيدُ منِّي بعد وَيْلٍ جرى ... سعياً إلى الخدمة بالقصدِ

هيهات يأجوجك في باطلٍ ... باللَّحْسِ للمحكم من سَدِّي[٦٤]

أنت تداجيني كذا ساخراً ... أنا الذي أُخنقُ بالزُّبْدِ[٦٥]

وخاطري بالقَدْح في كلِّ حُـ ... ـرَّاقٍ سحيق واريَ الزَّنْدِ[٦٦]

إبليس في كلِّ بلاء به اسـ ... ـتغوى بني آدم من جندي

أنا الذي أمزِجُ خَلِّي إذا ... ما شئتُ للمُمْرَضِ بالشُّهْدِ[٦٧]

إيارَجِي أخلِطُ أخلاطَهُ ... مغالطاً للخصمِ بالفَنْدِ[٦٨]

طِبٌّ عراقيٌّ على صورة التـ ... ـحقيقِ لا بَرْخَشةُ الهندِ[٦٩]

عليَّ مَنْ يُقْدِمُ أن يجتري ... بصولة المولى على العبدِ

عنـــدي وفـــاءُ الكلـــب لكنَّـــهُ مـــركَّبٌ مـــن قســـوةِ الأُسْـــدِ
أُغاضـــبُ الفيـــلَ علـــى أنَّنـــي عنـــد الرِّضـــا أرقُـــصُ للقـــردِ
مـــا لغـــزال السِّـــرْبِ حـــظٌّ إذا مـــا عـــزَّهُ المكـــروه بالفَهْـــدِ[٧٠]
وشَفَـــةُ الشَّـــهْمِ قبيـــحٌ بهـــا الـــ لثـــمُ لنعـــل الفَـــرَسِ الـــوَرْدِ[٧١]
يـــا نفثـــةَ المصـــدور منِّـــي قِفـــي دون المنـــاواةِ مـــن الحـــدِّ
فاسْلَـمْ وسـالمني فهزلـي هـو السُّـمُّ إذا أعـــرَبَ عـــن جـــدِّ

(٨)

وله[٧٢] في المدح:

أمـــدح طـــوراً وأهـــذي بـــه طـــوراً ولا أطمـــع فـــي رفـــدِهِ
مثـــلُ إمـــامٍ بـــين أهـــل القـــرى صـــلَّى بهـــم والزَّيْـــتُ مـــن عنـــدِهِ[٧٣]

قافية الراء

(٩)

قال[٧٤] في الغزل:

غـــزال قـــط لا يهـــوى ســـوى المطبوعـــة التبـــرِ
ولا يعجبـــه المـــطبو ع مـــن نظمـــي ولا نثـــري

(١٠)

وأنشد[٧٥] ابنَ هبيرة في آخر حياته، وكان يتبرم به لكبر سِنِّه وكثرة تردده على الوزير:

شـــعريَ قـــد بـــطَّ جيـــوبَ الـــورى فلـــو أردتَ المنـــعَ لـــم تقـــدرِ[٧٦]
وأزهـــر السَّـــمَّان لا ينثنـــي مـــا دام حيًّـــا عـــن أبـــي جعفـــرِ[٧٧]

(١١)

قال[٧٨] يهجو العسكر الذي قاده الخليفة المسترشد بالله[٧٩] لمحاربة السلطان السلجوقي مسعود[٨٠] وخسر المعركة، وقد كان طبيباً فيه، وهي قصيدة رائية مشهورة:

فـي العسـكر المنصـور نحـن عصـابةً مرذولـةٌ أخسـس بنـا مـن معشـرِ[٨١]

خـذ عقلنـا مـن عقـدنا فيمـا تـرى ... مـن خسَّـةٍ ورقاعـة وتهـورِ[٨٢]
تكريـت تعجزنـا ونحـن بجهلنـا ... نمـضي لنأخـذ تِرْمِـذاً مـن سـنجر[٨٣]
أمـا الحـويزيُّ الـدَّعيُّ فإنَّـهُ ... دلـو يشـوب تكبـراً بتمسـخرِ[٨٤]
يُكْنَـى أبـا العبـاس وهـو بـذِلَّةٍ ... حكمـت عليـه وأسجـلت بمغمّـرِ[٨٥]
فـي كـفِّ والـده وفـي أقدامـه ... آثـار نيـل لا يـزال وعُصْـفُرِ[٨٦]
يمشـي إلـى حجـر القيـان بنشـطةٍ ... ويـدبُّ فـي المحـراب نحـو المنبـرِ
وحديثـه فـي الحـق أو فـي باطـلٍ ... لـم يخلـه مـن وحشـةٍ وتمهـزرِ[٨٧]
وإذا رأى البركيـل يرعـد خيفـةً ... ذي الهاشـمية أصلُهـا مـن خيبـرِ[٨٨]
نسـبٌ إلـى العبـاس لـيس شبيهـه ... فـي الضـعف غيـر البـاقلاءِ الأخضـرِ[٨٩]
والحـيص بـيص مبـارزٌ بقناتـه ... وأنـا بشعشعـتي طبيـب العسـكرِ[٩٠]
هـذاك لا يُخْشَـى لقتـل بعوضـةٍ ... وأنـا فـلا أُرْجَـى لبـرء مُـدْبِرِ[٩١]
أُجْـرِي بمبضـعي الـدِّماءَ وسيفُـهُ ... فـي الغمـد لـم يعـرض لظفـر الخنصـرِ[٩٢]
لقرينـه فـي الحـرب طـولُ سـلامةٍ ... وصـريع تدبـيري بوجـه مُـدْبِرِ

(١٢)

وقال[٩٣] في الوزير يحيى[٩٤]:

ألا قُـلْ ليحيـى وزيـرِ الأنـامِ ... محـوتَ الشـريعةَ محـوَ السُّـطورِ
كسـرتَ الصـحاحَ بتصـحيحها ... وأصـبحتَ تضـربُها فـي الجـذور
ومـا إنْ قصـدتَ لتهـذيبها ... ولكـن لتهـذي بهـا فـي الصُّـدور

(١٣)

وقال[٩٥] في ابن شماليق كثير[٩٦]:

ابـنُ شـماليقَ ليـس فيـه ... نفـعُ صـغيرٍ ولا كبيـرِ
فكيـف أُثنـي عليـه يـوماً ... بمنطـقِ الحامـدِ الشَّـكورِ
واللهُ قـد قـال فيـه قبلـي ... يهجـوه: "لا خيـر فـي كثيـرِ"[٩٧]

(١٤)

وقال[٩٨] يشكو ضَعْفَ الدولة والوزير الذي يمثلها:

يـا معشـرَ النـاس النفيـرَ النفيـرْ قـد جلـس الهِـرَبذُّ فـوق السَّـريرْ[٩٩]

وصـــار فينـــا آمـــراً ناهيـــاً وكنـــتُ أرجـــو أنَّـــهُ لا يصـــيرْ

فكلمـــا قلـــتُ: قـــذى ينجلـــي وظلمـــة عمّـــا قليـــلٍ تنيـــرْ

فتحتُ عيني فإذا الـدولة الدولة والشيخ الوزير الوزيرْ

(١٥)

وقال[١٠٠] أيضاً يشكو الحال وقلَّة المال:

كـــم تـــرددتُ مـــراراً وتجـــرعتُ مـــراره

ثـــم لمـــا وفـــق الله ووقعـــت بكـــاره[١٠١]

لم يكـن فيها من الحنطـة ما تقرضُ فـاره

قافية السين

(١٦)

وقال[١٠٢] مهدداً غيره بالهجاء:

يـا خـائف الهجـو علـى نفسـهِ كـن فـي أمـان الله مـن مسـهِ

أنـت بهـذا العـرض بـين الـورى مثـل الخـرا يمنـعُ مـن نفسـهِ

قافية الصاد

(١٧)

لما ولي الزينبي[١٠٣] الوزارة، دخل عليه ابن الفضل... والمجلس محتفل بأعيان الرؤساء، وقد اجتمعوا للهناء، فوقف بين يديه ودعا له، وأظهر الفرح والسرور ورقص. فقال الوزير لبعض من يفضي إليه بسرّه: قبَّح الله هذا الشيخ؛ فإنه يشير إلى قول العامَّة في أمثالها: "ارقص للقرد في زمانه"[١٠٤].

وقد نظم[١٠٥] في هذا المعنى أبياتاً وكتبها إلى بعض الرؤساء:

يـا كمـال الـدينِ الـذي هـو شـخصٌ مشـخَّصُ

والـرئيس الـذي بـه ذنـب دهـري يـمَّحصُ

خـــــذ حـــــديثي فإنَّـــــه بنـــــاءٌ ســـــوف يـــــرخصُ
كلمـــــا قلـــــت تبـغـــــ دَدَ قـــــومي تحمصـــــوا[١٠٦]
لـــــيس إلا ســـــتر يُشَـــــا لُ وبـــــابٌ مجصَّـــــصُ[١٠٧]
والغواشـــــي علـــــى الـــــرؤ وس عليهـــــا المُقرنـــــصُ[١٠٨]
والـــــرواشي والمنـــــا خـــــر والخيـــــل تـــــرقصُ
وأنـــــا الكلـــــب كـــــل يـــــو مٍ لقـــــردٍ أبصبـــــصُ[١٠٩]
كلمـــــا صـــــفَّقَ الزمـــــا نُ لهـــــم قمـــــتُ أرقـــــصُ[١١٠]
محـــــنٌ لا يفيـــــد ذا النـــــو نِـــــغ منهـــــا التبرحـــــصُ
فمتـــــى أســـــمعُ النِّـــــدا ءَ وقـــــد جـــــاء مخلّـــــصُ

(١٨)

وقال[١١١] مادحاً شعره:

وقـــالوا قـــد تحجـــب عنـــك مـــولى وصـــار لـــه مكـــان مســـتخصُّ
فقلـــتُ ســـيفتح الأقفـــالَ شـــعري ويـــدخلها فـــإنَّ البـــردَ لـــصُّ

قافية العين

(١٩)

وقال[١١٢] في ذمِّ الطمع:

لا أمـــــدحُ اليـــــأسَ ولكنّـــــهُ أروحُ للقلـــــب مـــــن المطمـــــعِ
أفلـحَ مَـنْ أبصـرَ عشـبَ المُـنَى يـــرعى فلـــم يـــرعَ ولـــم يرتـــعِ

(٢٠)

وكان[١١٣] العلاء بن السوادي الواسطي[١١٤] الشاعر قد مدح قاضي القضاة الزينبي فأخر صلته مدة طويلة، فشكاه هذا إلى ابن الفضل، فكتب ابن الفضل على يده إلى أبي الفتح صاحب قاضي القضاة هذه الأبيات:

يـــا أبـــا الفـــتح الهجـــاءُ إذا ضـــاق صـــدرٌ فهـــو يتبـــعُ

وقـــــوافي الشـــــعر آتيـــــةٌ ولهـــــا الشيطـــــانُ يتَّـــــبعُ
وهـــي حتـــفُ العِـــرض لا ســـيما إن تـــــوارى الخـــــوف الطَّمَـــــعُ
وكمثـــــل السيـــــف يقطعهـــــا حـــــين يطفـــــى بأســـــها القِطَـــــعُ
فاحـــــذروا كافـــــات منحـــــدرٍ مـــا لكـــم فـــي صفعـــه طمـــعُ[١١٥]

قافية الفاء

(٢١)

وقال[١١٦] في العسكر المنهزم في إحدى المعارك:

أحســنت يــا عســكر ديــن الهــدى مـــنهزماً فـــي خمـــس مئـــة ألـــفِ
كأنَّـــه الحبـــالُ فـــي ســـيره يـــزدادُ إقـــداماً إلـــى خلـــفِ

(٢٢)

وأنشد[١١٧] بيتاً لنفسه في نفي الخيال الكرى، وهو:

مـــا زارنـــي طيفُهـــا إلا موافقـــةً علـــى الكـــرى ثـــم ينفيـــه وينصـــرفُ

قافية القاف

(٢٣)

وقال[١١٨] أيضاً:

يـــا جمـــال الشـــيوخ دُمْ واستمـــع قـــولَ مُشْـــفِقِ
لا يشـــوبنَّ خبـــثَ حســـ ك خبـــث المـــزوِّقِ[١١٩]
خفـــةٌ فـــي تثاقـــلٍ لرصـــاصٍ مطـــرَّقِ

(٢٤)

حبس قاضي القضاة الزينبي الشاعر ابن الفضل القطان لما هجاه بالقصيدة الكافية الآتي ذكرها- إن شاء الله- فلما طال حَبْسُهُ كتب إلى مجد الدين ابن صاحب أستاذ دار الخليفة. فقال[١٢٠]:

إليـــكَ أظـــلُّ مجـــدَ الـــدين أشكـــو بـــلاءً حـــلَّ لســـتُ لـــه مُطيقـــاً
وقومـــاً بلَّغـــوا عنِّـــي مجـــالاً إلـــى قاضـــي القضـــاة النَّـــدْب ســـيقا[١٢١]

فأحضـــرني بببـــاب الحكـــم خصـــمٌ غلـــيظٌ جـــرَّني كمَّـــا وزيقـــا[١٢٢]
وأخـــفق نعلـــه بالصـــفع رأســـي إلـــى أن أوجـــسَ القلـــبَ الخفوقـــا
علـــى الخصـــم الأداء وقـــد صـــفعنا إلـــى أن مـــا تهـــدينا الطريقـــا
فيـــا مـــولاي هـــب ذا الإفـــك حقـــا أيحـــبسُ بعـــدما اســـتوفى الحقوقـــا

(٢٥)

وله[١٢٣] قصيدة يشكو فيها قسمة الحظِّ، من جملتها:

يُعطـــى البُغـــا لابـــن الســـمين ويَحْـــرِمُ الفافـــا وفَيْلَـــقْ[١٢٤]

قافية الكاف

(٢٦)

وله[١٢٥] قصيدة يهجو بها قاضي القضاة الزينبي، وهي الكافية المشهورة:

يـــا أخـــي الشَّـــرطُ أملـــكُ لســـتُ للثلـــبِ أتـــركُ
كيـــف مـــا عـــنَّ لـــي علـــى الـــ ـخَلْـــقِ مـــا عشـــتُ أفْـــرُكُ
فقليـــل الهجـــاءِ مـــن كثـــرة المـــدحِ أبـــركُ
كـــم عيـــونٍ بـــه إذا أســـخطتني تُـــفرّكُ
خاطـــري فـــي كبيـــرة الـــ ـذمِّ بالسَّـــبقِ دكـــدكُ[١٢٦]
أبـــداً هـــذه الطـــر يـــقة بالشِّـــعر أســـلكُ
هـــذَّبتني تجـــاربٌ للمقاصـــيفِ تحنـــكُ[١٢٧]
كـــلُّ مُستَصْـــفَع القفـــا لـــدمِ العـــرضِ يســـفكُ
ذمِّـــي الزينبـــيَّ فيـــ ـــه لشعـــري تبـــرُّكُ
فـــي التلهِّـــي بـــه المشـــو مُ يطيـــبُ التمـــردكُ[١٢٨]
غيَّرتـــهُ ولايـــة واعتـــراه تململـــكُ[١٢٩]
بعـــدما كـــان للخســـا ســـات بالكيـــس يملـــكُ
أيـــن كـــان العثـــورُ وهـــ وَ فقـــيرٌ مخستـــكُ
صـــارَ بعـــدَ الخمـــول للـــ تيـــسِ ريـــشٌ ويـــرَّكُ

مثلـــــه مـــــن إذا تعـــــا ... ظـــــمَ تِـــــيهاً يُبـــــرزكُ
والقصـــــيباتُ فـــــي العـــــوا ... رِض منـــــه تُشكَّـــــكُ
معشـــــر النـــــاس هكـــــذا الـــــ ... ـنَّحـــــس للخلـــــقِ يـــــدركُ
مـــــذ تـــــولَّى قاضـــــي لقضـــــا ... ةِ الفقـــــيرُ الـــــمُشَفْسَكُ
صـــــار عُمقـــــاً فمـــــا لعـــــا ... فيـــــةٍ فيـــــه مَسْـــــلكُ
ويـــــكِ يـــــا أرمنيـــــةٌ ... أنفُهـــــا تِيـــــرُبَجَّكُ
الأنـــــــوفيةُ التـــــــي ... فيـــــكَ للفحـــــلِ تنهـــــكُ
مـــــن علـــــيّ بـــــن الحسيـــــ ... ـنِ اســـــحّي أنـــــتَ شكـــــركُ
ثـــــمَّ سمَّـــــاك معشـــــرٌ ... نُـــــوشكُ قلـــــتُ: نوشـــــكُ
أنـــــتَ شُمّسِـــــت والـــــذي ... غالـــــه المـــــوتُ فطـــــركُ
والســـــوادُ الـــــذي تـــــدَرَّ ... عـــــتَ بُـــــزْدٌ منمـــــركُ
يتعاطـــــى الوقـــــارَ وهـــــ ... ـوَ خليـــــعٌ مُـــــهتَّكُ
كـــــان فـــــي الـــــدَّستِ هُتكـــــةٌ ... وهـــــو فـــــي الحكـــــمِ أهتـــــكُ
بخـــــرَ الخلـــــقِ كلـــــهم ... حـــــين يُفتـــــي يســـــوّكُ
إنَّ هـــــذا إخـــــرابُ بيـــــ ... ـتٍ عظـــــيمٍ مشـــــوزكُ
فيـــــه تيـــــهٌ وكبريـــــاءٌ ... بـــــه العمـــــرُ يهلـــــكُ
وكـــــلامٌ إذا تحـــــدّ ... ثَ فـــــجٌّ مُفكَّـــــكُ
خـــــلتُهُ وهـــــو بالتعـــــا ... رُضِ للعُمـــــرِ يسبـــــكُ
طاســـــةٌ ينقرونهـــــا ... ثُـــــمَّ بالحـــــالِ تمســـــكُ
وعلـــــى كســـــرها الخفيْـــــ ... ـيِ لصـــــاقٌ مـــــوصلكُ
ولـــــه المســـــند الطويـــــ ... ـلُ العـــــريض المـــــرّ كنـــــكُ
نافـــــرُ الشكـــــل حجمُـــــهُ ... مـــــن ثـــــرى الأرضِ أسْـــــمَكُ
بقصيـــــصٍ فيـــــه تَمـــــا ... زَجَ صمـــــغٌ وآشـــــكُ
فهـــــو بـــــاللمع والســـــوا ... دِ المثـــــاني الممـــــردَكُ

حائـــــطٌ فـــــي سقايـــــةِ ... فيـــــه قـــــارٌ وحلبـــــكُ
ودواةٌ ومـــــــــــــرْفعٌ ... وهـــــو جـــــاثٍ مُـــــوَرَّكُ
يتجلـــى فـــي الـــدست منـــ ... ـــه ابـــن عُـــرسٍ مُحنَّـــكُ
وبوجـــــــــهٍ كأنَّـــــــهُ ... رأس خمـــــــسٍ مُـزَمَّـــــــكُ
غيـــــر أنَّ اللصـــــاق فيـــــ ... ـــه خفيـــــفٌ بـــــرشنكُ

(٢٧)

وله[١٣٠] في القاضي الظالم ابن المرخم[١٣١]:

يـا ابـن المـرخم صـرتَ فينـا حاكمـاً ... خـرفَ الزمـان تـراه أم جـن الفلـك؟
إن كنـتَ تحكـم بـالنجوم فـربَّما ... أمـا شـريعة أحمـد مـن أيـن لـك؟

قافية اللام

(٢٨)

وله[١٣٢] القصيدة المشهورة التي مدح بها سديد الدولة أبا عبدالله محمد بن الأنباري كاتب الإنشاء ببغداد:

يـــا مـــن هجـــرتَ فمـــا تبـــالي ... هـــل ترجـــع دولـــةُ الوصـــالِ؟!
مـــا أطمـــعُ يـــا عـــذاب قلبـــي ... أن ينعـــم فـــي هـــواك بـــالي
الطـــرفُ مـــن الصـــدود بـــاكٍ ... والجســـمُ كمـــا تـــرينَ بـــالي
القلـــبُ كمـــا عهـــدت صـــابٍ ... باللَّـــوْعة والغـــرام صـــالي[١٣٣]
والشـــوق بخـــاطري مقـــيمٌ ... مـــا يـــؤذن عنـــه بارتحـــالِ
يـــا مـــن نكـــأت صـــميم قلبـــي ... بـــالحزنِ وصـــورة الخبـــالِ
هيهـــات وقـــد ســـلبتِ غمضـــي ... أن أظفـــر منـــكِ بالخيـــالِ
لـــو شـــئتِ وقفـــتِ عنـــد حـــدٍّ ... لا يســـمح منـــكِ فـــي الـــدلالِ
مـــا ضـــرَّكِ أن تعلّلينـــي ... فـــي الـــوصل بموعـــدٍ محـــالِ
أهـــواكِ وإنـــتِ حـــظٌّ غيـــري ... يـــا قـــاتلتي فمـــا احتيـــالي
والقتـــلُ الظـــاهري شـــعارٌ ... إن أنـــتِ عـــززتِ بـــاختيالِ[١٣٤]

ذا الحكـــم علـــيَّ مـــن قضـــاة ... مـــن أرخصـــني لكـــل غـــالِ
أيـــام عنـــائي فيـــك ســـود ... مـــا أشبههـــنَّ بالليـــالي
واللـــوَّم فيـــك يـــزجروني ... عـــن حبـــك مـــا لهـــم ومـــالي؟[١٣٥]
العشـــقُ بـــه الشـــغاف أضـــحى ... عـــن ذكـــر ســـواك فـــي اشـــتغالِ
والنـــار وإن خبـــت لظاهـــا ... فـــي الصـــدور تشـــب باشـــتعالِ
يـــا مُلْزِمـــي السَّلْـــوَ عنهمـــا ... الصـــب أنـــا وأنـــت ســـالي
والقـــول بتركهـــا صـــوابٌ ... مـــا أحسنـــه لـــو استوى لـــي
دعـــني وتغزلـــي بخـــودٍ ... ترنـــو وتُغـــن عـــن غـــزالِ[١٣٦]
حـــوراء لطرفهـــا ســـهام ... أمـــضى وأمـــضّ مـــن نبـــالِ
فـــي القلـــب لوقعهـــا جـــراحٌ ... لا بـــراءَ لهـــا مـــن اغتيـــالِ
فـــارحم قلقـــاً بهـــا وقيـــذا ... واعـــذره فمـــا العـــذارُ خـــالي[١٣٧]
مـــا يجمـــلُ أن تلـــومَ صـــبًّا ... إن هـــام بربـــة الجمـــالِ
إيـــاك وخـــلني ووَيْلـــي ... فـــي الوجـــدِ مســـلماً لحـــالي
إن كنـــتَ تعـــده صـــلاحاً ... دعـــني فهـــداي فـــي ضـــلالي
فـــي طاعتهـــا بـــلا اختيـــاري ... قـــد صـــحَّ بعشـــقها اختلالـــي
طلقـــتُ تجلـــدي ثلاثـــاً ... والصبـــوة بعـــد فـــي حبـــالي
مـــن أيـــن؟ وكيـــف لـــي بصـــبرٍ ... عـــن حُسْـــنٍ بعيـــدة المثـــالِ
لـــم أحـــظَ بطائـــلٍ لديهـــا ... إلا بزخـــارفِ الـــمُحالِ
كـــم قـــد نكـــلتِ عُقَيْـــب عهـــد ... فالقلـــب لـــذاك فـــي نكـــالِ[١٣٨]
كمـــا غـــرَّني الخـــداعُ منهـــا ... فـــي القـــاعِ علـــى ظمـــأ الـــزلالِ
هـــلَّا صـــدقت كأريحـــي ... مـــن أكـــرم مـــعشرٍ وآلِ
راجيـــة لديـــه فـــي جنـــابٍ ... بالأنعـــم سابـــغ الظـــلالِ
مـــا الغيـــث يســـحُّ مـــن يديـــه ... كالغيـــث يســـحُّ فـــي الفعـــالِ
مـــن موئلـــه ذرى سديـــد ... الدولـــة ذي النـــدى الـــمُدالِ

لا تطمـــــع أن تنـــــالَ منـــــه ... بالضيـــــمِ مـــــرادها الليـــــالي
والغـــــدر لعلـــــه مـــــام ... قـــد رقـــن لـــه بـــلا اعتـــدالِ
تســـقيه يـــد النجـــاح منهـــا ... مـــــا شـــــاء ببـــــاردٍ زلالِ
فـــي ربـــع مهنـــأ العطايـــا ... فـــي الأزمـــة مســـيل العـــزاليِ[١٣٩]
استصـــرخ منـــه حـــين أشـــقى ... بالشِّـــــدَّةِ أرحـــــم المـــــوالي
مـــن جـــود يديـــه لـــي كفيـــل ... فـــي القحـــط براتـــب العيـــالِ
لا ينظـــر فـــي ســـوى صـــلاحي ... أن أبصـــرني بســـوء حـــالِ
مـــا زال ولا يـــزال طبعـــاً ... يعطـــي كرمـــاً ولا يبـــالي
لا يعجبنـــي مـــلام نـــاهٍ ... فـــي الـــذَّبّ عـــن العلـــى بمـــالِ
فالســـؤدد شـــمله جميـــع ... فـــي دار مفـــرق النـــوالِ
مـــن يلـــقَ محمـــداً بمـــدحٍ ... يحمـــده بأحســـنِ الخـــلالِ
والوجـــدُ بغـــادة رَدَاحٍ ... فالأعظـــم مـــن كـــالخلال[١٤٠]
والجـــود بكـــفِّ ذي ســـماح ... مـــن خـــير مناقـــب الرجـــالِ
مـــولاي نـــداء مســـتجير ... يدعـــوك لدائـــه العضـــالِ
يـــا أكـــرم مـــنعم عليـــه ... فـــي دفـــع مـــآربي اتكـــالي
دبـــر محنـــي لعـــلَّ جرحـــي ... يجـــبره نـــداك باندمـــالِ
كـــم أوقفنـــي غـــريم ســـوء ... فـــي حـــال وقوفـــه حيـــالي
كالمفلـــسِ مـــن يهـــود هطـــرَى ... فـــي قبضـــة عـــامل الجـــوالي[١٤١]
مـــا صـــحَّ لـــي الخـــلاص منـــه ... إلا بصحاحـــــك الثقـــــالِ
والعـــادة فـــي صـــلاح عـــدمي ... فـــي العَـــوْدِ لمثلهـــا ســـؤالي
تقريظـــك مـــا حييـــتُ دأبـــي ... بالظـــاء علـــى إفـــراغ بـــالي[١٤٢]
مـــا أكحـــل بالهجـــاء لكـــن ... بالقصـــد لكفـــك اشـــتغالي
فالعـــرض أرده ســـميناً ... والكـــيس محالـــف الهـــزالِ

مـــن دبـــر هكـــذا مزاجـــاً ... بالحـــذق لصـــورة الكمـــالِ
فالصبـــغ إذا أتـــاه عفـــواً ... وافـــاه برزقـــه الحـــلالِ
يـــا خيـــر مؤمـــل إليـــه ... شـــددت بمـــدائحي رحـــالي
لـــم يقضـــك خـــاطري حقوقـــاً ... مـــن أصـــبح ظاهـــر الكـــلالِ
إن أُثْـــنِ عليـــك أُبْـــدِ عجـــزاً ... عـــن نعـــت معظـــم الجـــلالِ
أوصافـــك فـــي الفخـــار جـــازت ... فـــي الكثـــرة عـــدَّة الرمـــالِ
فالخـــط طوالهـــا قصـــارٌ ... عـــن حظـــك ساعـــة النـــزالِ
كـــم راع بـــك القنـــا يـــراع ... فـــي كفـــك واســـع المجـــالِ
أقلامـــك أســـهُمٌ قـــواض ... والـــنقش لهـــنَّ كالنِّصـــالِ
تقضـــي ثعـــل لهـــا بفخـــرٍ ... والقـــارة ســـاعة النِّضـــالِ
لـــو شاجـــرت الرمـــاح كانـــت ... فـــي الـــروع لكفهـــا العـــوالي
أوصـــافحت الصـــفاح فلَّـــت ... غربـــي متشعشـــع الصقـــالِ
أو حبـــرت المثـــال أبـــدت ... مـــا دقَّ وجـــلَّ عـــن مثـــالِ
تملـــي فقـــراً مـــن المعـــاني ... ســـددن مفـــاقر المعـــالي
ينفـــثن علـــى الصـــباح ليـــلاً ... ناهيـــك بسحـــرها الحـــلالِ
كتـــب ضـــمنت بـــلا اشـــتراط ... تمزيـــق كتائـــب جـــلالِ
هـــاروت إذا أتتـــه ولَّـــى ... لا يخطـــر بـــابلاً ببـــالِ
فيهـــا سبـــح علـــى لجـــين ... أســـنى قيمـــاً مـــن الـــلآلي
فـــي النشـــر كأوجـــه العـــذارى ... غلفـــن بفـــاخر الغـــوالي
ألفاظـــك للوعـــول حطـــت ... مســـتنزلة مـــن الفـــلالِ
بالكيـــد تقتـــل الأعـــادي ... فـــي السِّـــلْم لهـــا بـــلا قتـــالِ
كـــم رضـــت مـــن الـــورى جموحـــاً ... للعقـــل فعـــادِ فـــي عقـــالِ
لا زلـــت موفـــق المســـاعي ... بالجـــد مشـــفع بالســـؤالِ
تنقـــاد لـــك الأمـــور طَوْعـــاً ... يـــا خيـــر بقيـــة الرجـــالِ

يـــا أكـــرم والـــدٍ لبخـــلٍ ... يتلـــوه مهـــذب الخـــلالِ
أكـــرم بفتـــاك مـــن لـــي ... للدولـــة مخلـــص مـــوالِ
إن جـــاد يخجـــل الغـــوادي ... أو قـــال أجـــاد فـــي المقـــالِ
يـــا شـــمس عـــلا زهـــت ببـــدرٍ ... حاشـــاه يقـــاس بالهـــلالِ
لا زال مشرقـــاً منيـــراً ... فـــي ظلـــك دائـــم الكمـــالِ
مـــا عـــادك بالســـرور عيـــد ... ترعـــاه بأحســـنِ اشتمـــالِ
فـــي أســـبغِ نعمـــةٍ وعـــيشٍ ... بالطيبـــةِ دائـــم التـــوالي
لا زال عـــلاك فـــي ثبـــاتٍ ... لا يسلمـــه إلـــى زوالـــيِ
عـــن أخلـــص نيـــةٍ بصـــدقٍ ... فـــي طـــول بقائـــك ابتهـــالي
مـــا يلتـــبس الصـــحيح يومـــاً ... تـــالله عليـــك بالمجـــالِ

(٢٩)

وله[١٤٣] في أمين الدولة، المعروف بـ (ابن التلميذ)[١٤٤]:

لـــيس يُعطـــى مَـــنْ يؤمِّلُـــهُ ... غيـــرَ طَلْـــقِ الوجـــهِ والقُبَـــلِ
ولُفَيْظـــاتٍ ينمّقُهـــا ... خُدعـــةَ الجَمَّـــالِ للجَمَـــلِ
وقيامـــاً لا يخـــلُّ بـــه ... ذا يُكَـــدِّي آخـــرَ العمـــلِ[١٤٥]

(٣٠)

وله[١٤٦] في الغزل:

رنـــا عـــن فـــاترِ الكحيـــلِ ... والحتـــفُ فـــي سُـــمّه الفَتـــولِ
كـــم سـلَّ مـــن مقلتيـــه ســـيفاً ... تقبيلُـــهُ مُنيـــةُ القتيـــلِ
أحـــورُ حـــرُّ القلـــوبِ فيـــه ... مولِّـــدٌ حَيـــرةَ العقـــولِ
لـــم يَسْـــلُ فيـــه فـــؤادُ صَـــبٍّ ... هـــام علـــى خـــدِّهِ الأســـيلِ
واويلتـــي! قـــولُ مُســـتغيثٍ ... مـــن ظـــالم واهـــبٍ بخيـــلِ
مـــن سُـــقمِ جَفنيـــه سُـــقْمُ جســـمي ... ومـــن ضـــنى خصـــره نُحُـــولي

(٣١)

وعمل[١٤٧] ابن الفضل بيتين ظن أنه استوفى فيها المعنى،وتحدى الحيص بيص أن يأتي بثالث لهما في حضرة الوزير الزينبي، وهما :

زار الخيال نحيلاً مثل مرسله فما شفانيَ منه الضمُّ القبلُ

ما زارني قطُّ إلا كي بوافقني على الرقادِ فينفيه ويرتحلُ

فأضاف لهما الحيص بيص:

وما درى أنَّ نومي حيلةٌ نُصبت لطَيْفِهِ حين أعيا اليقظةَ الحيلُ

(٣٢)

ولما[١٤٨] وَلِيَ ابن المرخم[١٤٩] القضاء، وكان ظالماً قال فيه:

يا حزينة الْطُمِي الطُمِي قد وَلِيَ ابن المرخم

بدواتهِ المفضضةِ ووكيله المكعسمِ

وَيْ على الشرع والقضاء وي على كلِّ مسلمِ

أتُرَى صاحب الشريعة قد جُنَّ أو عَمِي

(٣٢)

وله[١٥٣] في ذمّ تواضع أنو شروان الوزير[١٥٤]:

قل للوزير وخيرُ القول أصدقُهُ ماذا السُّمُ والأحشاءُ تضطرمُ[١٥٠]

هذا تواضعك المشهورُ عن ضَعَةٍ قد صرت فيه بفضل اللؤمِ متهمُ[١٥١]

قَعدْتَ عن أمل الراجي وقمت له فذا وثوبٌ على الطلاب لا لَهُمُ[١٥٢]

(٣٤)

وله[١٥٥] في الرسالة التي بعثها مع قصيدته الدالية في الغزنوي الواعظ:

وحصلنا على نفاق أجازيـ ـه بصبري عليه غصباً ورَغما

والبصير الذي يُحابي بأن يُصـ ـبحَ عن رؤية المحاباة أعمى

فإلى كم تكون حربي بلعني كلما كنتَ بالمداراة سَلِما

قافية النون

(٣٥)

كتب[١٥٦] ابن الفضل القطان إلى الزينبي، وكان قد سجنه بعد قصيدته الكافية التي شاعت في بغداد:

عنـــد الـــذي طـــرَّف بـــي إنّـــهُ قـــد حـــطَّ مـــن قـــدري وآذانـــي
الحـــبسُ مـــا غـــيَّر لـــي خـــاطراً والصـــفعُ مـــا لـــيَّن لـــي آذانـــي

(٣٦)

وله[١٥٧] أيضاً:

هـــــذا يقـــــول اســـــترحنا وذا يقـــــــول عصـــــــينا
ويكـــــــذبانِ ويهـــــــذي الـــــذي يصـــــدق منـــــا

هوامش البحث

(١) ينظر: عصر الدول والإمارات (الجزيرة، العراق، إيران): ٣٦٦-٣٦٨.
(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان: ٥٣/٦.
(٣) نفسه: ٥٣/٦.
(٤) معجم البلدان لياقوت الحموي: ٥٣/٥.
(٥) وفيات الأعيان: ٥٤/٦.
(٦) مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زادة: ٢٠٠/١.
(٧) عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة: ٣٨٩.
(٨) وفيات الأعيان: ٥٤/٦.
(٩) نفسه: ٦١/٦.
(١٠) العماد الأصبهاني: الخريدة- القسم العراقي: ٢٧٠/٢، وفيها: وله شعر كثير لم يُدوَّن .
(١١) ينظر: وفيات الأعيان: ٥٥/٦.

(١٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٣٨٧، والبيت الثالث إضافة من وفيات الأعيان: ٥٥/٦.

(١٣) البيتان تضمين من: ديوان الحماسة لأبي تمام: ٥، رواية أبي منصور الجواليقي (ت٥٤٠هـ)، تحقيق: د. عبدالمنعم أحمد صالح، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٧م.

(١٤) وفيات الأعيان: ٦٠/٦.

(١٥) ديوان الطرماح بن الحكيم: ٩، تحقيق: د. عزت حسن، مطبوعات إحياء التراث القديم، دمشق، ١٩٦٨.

(١٦) ينظر: وفيات الأعيان: ١٠٦/٥.

(١٧) وفيات الأعيان: ٥٩/٦.

(١٨) وفيات الأعيان: ٥٩/٦.

(١٩) أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك: ٢٨٨.

(٢٠) وفيات الأعيان: ٥٨/٦.

(٢١) الخريدة– القسم العراقي: ٢٧٢/٢– ٢٧٣.

(٢٢) الخريدة– القسم العراقي–: ٢٧٣/٢.

(٢٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٣٨٧.

(٢٤) هو: أبو القاسم هبة الله بن الحسين الأصطُرْلابي؛ شاعر بغدادي كانت له مقطعات وأشعار، اشتهر في عمل الآلات الفلكية وحصل بسببها له أموال كثيرة (ت٥٣٤هـ). الخريدة: ١٣٧/٢/٣.

(٢٥) العلق: النفيس، وقد استعمله هنا بالمعنى العامي بقصد المسبة والقبح.

(٢٦) الخريدة– القسم العراقي–: ٢٧٨/٢.

(٢٧) البيع: الذي يتولى البياعة والتوسط بين البائع والمشتري، ويسمى اليوم الدلال .

(٢٨) كان المشيعون يقولون في ذلك العصر: النبي وصاحبيه ، فقوله إشارة لذلك.

(٢٩) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٣٨٨.

(٣٠) الخريدة– القسم العراقي: ٢٧٨/٢– ٢٨١.

(٣١) ابن هبيرة هو الوزير يحيى بن محمد بن هبيرة، ينتهي نسبه إلى بكر بن وائل، كان غزير العلم ذا هيبة مفوهاً، وزر للمقتفي والمستنجد، (ت٥٦٠هـ)، الخريدة: ٩٦/١.

(٣٢) المهج: الأرواح.

(٣٣) الهِمُّ: الشيخ الكبير الفاني.

(٣٤) فاقة: فقر.

(٣٥) الغماء: الشديدة من شدائد الدهر. اللجج: معظم البحر وتردد أمواجه.

(٣٦) اللأواء: ضيق المعيشة.

(٣٧) النشر: الرائحة الطيبة. والأرج: الفائح.

(٣٨) الأزج: ضرب من الأبنية، فيها طول.

(٣٩) اليافع: من شارف الاحتلام، وهو دون المراهق.

(٤٠) السبج: خرز أسود معروف.

(٤١) اليفن: الشيخ الكبير.

(٤٢) أسبغ النعمة: أتمها.

(٤٣) السمج: القبح؛ يقال: سَمِجَ ، أي: قبح.

(٤٤) وفيات الأعيان: ٦٠/٦.

(٤٥) عيون الأنباء: ٣٨٧، ووفيات الأعيان: ٥٥/٦.

(٤٦) هو: أبو الفوارس الأمير شهاب الدين بن محمد ابن الصيفي التميمي، كان شاعراً مشهوراً، وله ديوان شعر مطبوع في ثلاثة أجزاء، (ت٥٧٤هـ)، الخريدة: ٢٠٢/١.

(٤٧) رواية ابن خلكان: يا أهل بغداد.

(٤٨) رواية ابن خلكان: تشاجعه بدل شجاعته .

(٤٩) البيت إضافة من ابن خلكان؛ فقد تفرد به وهو متأخر تاريخياً. و يديه : يدفع ديَّته.

(٥٠) رواية ابن خلكان: فأنشدت جعدة ، وهو اسم من أسماء الكلبة هكذا سمعته ولم أره في شيء من كتب اللغة، بل الذي قاله أرباب اللغة: إن أبا جعدة كنية الذئب، وجعدة اسم النعجة؛ كني بها لمحبته إياها، والله أعلم . وفيات الأعيان: ٦١/٦.

(٥١) البيتان تضمين من ديوان الحماسة لأبي تمام: ٦٥.

(٥٢) الخريدة– القسم العراقي: ٢/٢٨٢– ٢٨٧.

(٥٣) هو: علي بن الحسين، والبرهان لقبه، نم أهل "غزنة"، كان خطيباً مفوهاً، لا يعظم بيت الخلافة، وكان شعوبياً، مُنع من الوعظ وعاش ذليلاً بعد موت السلطان مسعود إلى أن مات سنة (٥٥١هـ). الخريدة: ٢/٢٥٠.

(٥٤) الإغضاء عن الشيء: التحويل. والإغضاء على الشيء: السكوت والصبر.

(٥٥) الدست: الصدر، والمراد هنا اللعبة. والنرد: لعبة تعتمد على الحظ، وتُسمى حالياً الطاولي .

(٥٦) أصادي: أداري.

(٥٧) العراقان: الكوفة والبصرة.

(٥٨) الجعد: اللئيم.

(٥٩) كان الغزنوي يحدث عن طريق غَزْنة والبرد فيها والشوك.

(٦٠) زنهار: كلمة استغاثة بالفارسية. سالوس: الكلام المعسول الناعم (فارسية)، وسالوس مدينة بجبال طبرستان، سرد: معناه بارد (بالفارسية).

(٦١) الخرد: معناها بالفارسية الشيء الصغير والدقيق.

(٦٢) دردرسرمكن: جملة فارسية معناها: لا توجع رأسك، الدرد: كلمة فارسية معناها الغم.

(٦٣) الدُّردي: ما يركن في أسفل كل مائع كالأشربة والدهان.

(٦٤) أسطورة لحس يأجوج ومأجوج السد الإسرائيلية أشاعها كعب الأحبار. وهي مخالفة لما جاء في القرآن في قوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [الكهف: ٩٧].

(٦٥) داجاه: ستر العداوة، ولم يبدها له.

(٦٦) حراق: ما يقع فيه النار عند القدح.

(٦٧) الشُّهد: عسل النحل.

(٦٨) الإيارج: معجون مسهل للأخلاط. والفند: عسل قصب السكر إذا جمد.

(٦٩) البرخشة: التخليط في المداواة. وربما يشير إلى أنه من الهند لقرب (غزنة) منها.

(٧٠) الفهد: معروف؛ سبعٌ يُصاد به.

(٧١) الوَرْدِ: هو ما بين الكميت والأشقر من الخيل.

(٧٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٣٨٩، وأخبار الملوك: ٢٨٦.

(٧٣) رواية أخبار الملوك: عند أهل القرى .

(٧٤) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٣٨٨.

(٧٥) الخريدة– القسم العراقي: ٢/٢٧١– ٢٧٢.

(٧٦) بط: شقَّ، وهو من العامي الفصيح في لغة أهل بغداد اليوم.

(٧٧) حكاية الأزهر السمان مع المنصور مشهورة. فقد كان يصحبه أيام بؤسه قبل الخلافة فلما تولى الخلافة، بدأ يتردد عليه كثيراً لهذا السبب أو ذاك. حتى أنه مرة جاءه فسأله أن يعلمه دعاءً مستجاباً، فأجابه المنصور أنه غير مجاب الدعوة قائلاً: إني في كل سنة أدعو الله تعالى أن لا تأتيني، وأنتَ تأتي .

ينظر: الخريدة– القسم العراقي: ٢/٢٧٢–٢٧٣.

(٧٨) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٣٨٢– ٣٨٣. وروى الملك المنصور الأيوبي في أخبار الملوك: ٢٨٧ تسعة أبيات منها، والعماد الأصبهاني في الخريدة– القسم العراقي٢/٢٧٦ أربعة أبيات منها، وروى ابن خلكان في وفيات الأعيان: ٦/٥٩–٦٠ بيتين منها فقط قائلاً: وله القصيدة الرائية المشهورة التي جمع فيها خلقاً من الأكابر ونبز كلَّ واحد منهم بشيء .

(٧٩) هو الخليفة أبو منصور الفضل ابن الخليفة المستظهر، تولى الخلافة سنة (٥١٢هـ)، كان ذا همة عالية وشهامة وإقدام ورأي وهيبة، باشر الحروب بنفسه. قُتل سنة (٥٢٩هـ) على يد الباطنية في عسكره الذي غزا السلطان السلجوقي مسعود في محاولة منه لإعادة هيبة الخلافة، رحمه الله، الخريدة: ١/٢٨.

(٨٠) هو السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه، خُطب له بالسلطنة على منابر بغداد سنة (٥٢٧هـ)، كان كريماً عفيفاً عن أموال الرعية، حسن السيرة، وبموته سنة (٥٤٧هـ) ماتت سعادة البيت السلجوقي، الخريدة: ١/٢٣٣.

(٨١) رواية أخبار الملوك: بالعسكر المنصور .

(٨٢) رواية أخبار الملوك: من خفة ورقاعة .

(٨٣) ترمذ: مدينة على الضفة الشمالية لنهر جيحون شمالي إيران، فيها آثار تاريخها إلى العهد البوذي. وسنجر: سلطان سلجوقي فتح تركستان.

(٨٤) رواية أخبار الملوك: يشوب تمسخراً بتكبر .

(٨٥) رواية أخبار الملوك: وهو بصورة . وفي عيون الأنباء: بمعمر بدل بمغمر ، وما أثبته هو من الخريدة وبه يستقيم المعنى؛ لأن معنى المغمر العبوس والاصفرار.

(٨٦) نيل: صبغ أزرق. والعصفر: نبات يستخرج منه صبغ أحمر.

(٨٧) رجل مِهْزَرٌ: هو الذي يُغْبَن في كل شيء من الكسل.

(٨٨) البركيل: القوس الذي يرمي به الصبيان البندق، أي: يصفه بالجبن.

(٨٩) كان يطلق في سوق بغداد على الباقلاء الأخضر: العباسي للضعف الذي أصاب الدولة.

(٩٠) رواية أخبار الملوك: مبارز بغلامه . والشعشعة: المزج؛ ربما يقصد مزج الدواء. ويأتي بمعنى البُعد من الشسوع ، فلعله قصد ذلك.

(٩١) رواية أخبار الملوك:

أنى لذاك ترى بقتل بعوضةٍ وأنا فلا أُرجى لشرِّ مدبرِ

(٩٢) المِبْضَع: المِشْرَط، وهو ما يُبضَع به العرق والأديم. وبضعتُ الجُرْحَ: شققتُهُ.

(٩٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٣٨٨.

(٩٤) تقدمت ترجمته، وكان مقرباً لأهل الفضل والدين صنف كتاب الإفصاح في شرح الصحاح ، وقد بذل على حفظه ونسخه أموالاً كثيرة (طبع الكتاب بعناية راغب الطباخ بحلب). والأبيات في الخريدة: ٩٨/١، ١٥٦ نُسبت لأثير الدين الوزير.

(٩٥) الخريدة– القسم العراقي: ٢٧٥/٢.

(٩٦) ورد ذكره بالسين (ابن سماليق) وأحياناً بالشين (ابن شماليق) في تراجم بعض الشعراء، ولم أقف على ترجمته.

(٩٧) اقتبس قوله تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾[النساء: ١١٤]. وقد افترى الشاعر على الله كذباً كما علق على ذلك الأثري. الخريدة: ٢/٢٧٥.

(٩٨) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٣٨٧، وتمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون: ٧٦.

(٩٩) الهِرَدبُّ: الضخم الجثة القليل العقل.

(١٠٠) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٣٨٨- ٣٨٩.

(١٠١) الكاره: مقدار من الحنطة كان معلوماً عندهم.

(١٠٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٣٨٩.

(١٠٣) هو شرف الدين علي بن إطراد بن محمد بن علي بن أبي تمام الزينبي، تولى نقابة النقباء وقاضي القضاة ووزر للخليفتين المسترشد والمكتفي، كان إماماً فاضلاً على مذهب أبي حنيفة، (ت٥٣٨هـ). الخريدة: ١/٢٠٩.

(١٠٤) وفيات الأعيان: ٦/٥٨.

(١٠٥) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٣٨٩، ووفيات الأعيان: ٦/٥٨- ٥٩. وقد اعتمدت رواية ابن أبي أصيبعة لقدمها في ستة أبيات فقط، والبقية تفرد بها ابن خلكان.

(١٠٦) تبغدد: نسبة إلى بغداد. وتحمصص: نسبة إلى حمص.

(١٠٧) يشال: يُرفعُ.

(١٠٨) رواية ابن خلكان: وغواشٍ . والمقرنص: مشتق من القرانيص، وهي خرز في أعلى الخف، وذلك من القرنوص الذي هو مقدم الخف.

(١٠٩) رواية ابن خلكان: وأنا القرد . وأبصبص: من بصَّص الجرو تبصيصاً أي: فتح عينيه، وبصبص لغة.

(١١٠) رواية ابن خلكان: كلٌ مَنْ صفق الزما ن له.... .

(١١١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٣٨٨.

(١١٢) المصدر نفسه: ٣٨٦.

(١١٣) أخبار الملوك: ٢٩١- ٢٩٢. وقد روى ابن خلكان في وفيات الأعيان: ٣/٤٨١ ثلاثة أبيات منها.

(١١٤) الرئيس أبو الفرج العلاء بن علي بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن السَّوادي الواسطي. كان شاعراً فاضلاً ظريفاً مطبوعاً بارعاً في الحساب (ت٥٦٦هـ). الخريدة: ٣٦٩/١/٤.

(١١٥) كافات: يقصد القصيدة الكافية المشهورة التي هجا بها الزينبي فذاعت، ولم ينفع صفعه وأذاه في التخلي عن الهجاء. وسنذكرها في حرف الكاف إن شاء الله تعالى.

(١١٦) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٣٨٨.

(١١٧) الخريدة– القسم العراقي: ٢٧١/٢.

(١١٨) أخبار الملوك: ٢٨٦.

(١١٩) المزوق: من زوقت الكلام إذا حسنته وقومته.

(١٢٠) وفيات الأعيان: ٥٧/٦– ٥٨.

(١٢١) رجل ندب: خفيف في الحاجة، سريع.

(١٢٢) الزيق: الحبيب المكفوف، وزيق القميص: ما أحاط بالعنق.

(١٢٣) الخريدة– القسم العراقي: ٢٨١/٢.

(١٢٤) ابن السمين: رجل شيخ محدث. الفافا وفيلق: كانا مملوكين لابن الأنباري موصوفين بالحسن.

(١٢٥) أخبار الملوك: ٢٨٨–٢٩١.

(١٢٦) الدَّكْدَكُ من الرمل ما تكبس واستوى من رملٍ ذي تراب متلبدٍ.

(١٢٧) المقاصيف: جمع القصف: الجلبة والإعلان باللهو. ويحنك: يدلك حنكه.

(١٢٨) رجل مَرَوْدك: حسن. ومُرَوْدَك: كثير اللحم ثقيل.

(١٢٩) تملك: أصبح متملكاً للمملكة.

(١٣٠) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٣٨٧.

(١٣١) هو القاضي يحيى بن سعيد ابن المرخم، جعله المقتفي قاضي القضاة ونكل به المستنجد. وقد علل الأصبهاني ذلك بأحقاد أضمرها له أيام والده، وعلل سبط ابن الجوزي بمظالم أتاها. ويرد اسمه أحياناً (ابن المجرم)، وهو تحريف. مات في سجنه سنة (٥٥٥هـ). الخريدة: ٣٣/١/٣، ومرآة الزمان: ١٨٧/١/٨.

(١٣٢) عيون الأنباء: ٣٨٣- ٣٨٦. وقد وروى ابن الجوزي أحد عشر بيتاً منها في المنتظم: ٢٠٧/١٠، مع اختلاف في الترتيب وحذف أبيات منها، وروى العماد الأصبهاني في الخريدة-القسم العراقي ٢٧٤/٢- ٢٧٥، اثني عشر بيتاً منها مع اختلاف في الترتيب وحذف أبيات منها أيضاً، وروى الذهبي في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٥٥١-٥٦٠هـ): ٢٧٦- ٢٧٧ ستة أبيات منها، وروى ابن حجر في لسان الميزان، ٢٥٤/٧- (٢٥٥) ثلاثة أبيات منها، وروى ابن الأثير في الكامل: ١٢٠/١١ خمسة أبيات منها، وروى ابن كثير في البداية والنهاية: ٢٤٧/١٢ تسعة أبيات منها ونسبها خطأً إلى محمد بن عبدالكريم المعروف بابن الأنباري كاتب الإنشاء ببغداد وقال: إنها في محبي الدنيا والصور .

(١٣٣) صبَّ الرجل: إذا عشق.

(١٣٤) الاختيال: المخادعة.

(١٣٥) يزجروني: خطأ للضرورة؛ إذ الصواب: يزجرونني .

(١٣٦) الخود: الفتاة الشابة.

(١٣٧) وقيذا: الشديد المرض المشرف على الموت.

(١٣٨) نكل عن الشيء: صُرف عنه. والنكال: جعله إن رآه غيره خاف أن يعمل عمله.

(١٣٩) العزالي: جمع عَزْلاء: مصب الماء من الراوية والقربة في أسفلها حيث يستفرغ ما فيها من ماء.

(١٤٠) امرأة رَدَاحٌ ورادحة ورَدُوح: ثقيلة الأوراك تامة الخَلْق.

(١٤١) هطرى: أنقاض مدينة في العراق جنوبي غربي الموصل على وادي الثرثار، خربتها الزلازل وعُثر فيها على تمثال آلهة الجاهلية العزى واللات ومناة.

(١٤٢) قرظ (بالظاء): مدح. وقرض (بالضاد): قطع، والقريض الشعر.

(١٤٣) الخريدة- القسم العراقي: ٢٨٢/٢. وروى الأيوبي في أخبار الملوك: ٢٨٧ بيتين منها فقط.

(١٤٤) ابن التلميذ: هو أمين الدولة أبو الحسن هبة الله بن أبي العلاء بن صاعد بن إبراهيم ابن التلميذ، له شعر وترسل كثير ومؤلفات في الطب، عارفٌ باللغة الفارسية والسريانية (ت٥٦٠هـ).

(١٤٥) يُروى أن ابن التلميذ نفَّذ إليه ثوباً أسود، وكتب معه:

أحبك في السوداء سحبُ ذيلها خطيباً ولكن لا تذكر مثالبي . الخريدة- القسم العراقي: ٢/٢٨٢.

(١٤٦) الخريدة- القسم العراقي: ٢/٢٧٧.

(١٤٧) وفيات الأعيان: ٦/٥٧.

(١٤٨) المنتظم لابن الجوزي: ١٠/٢٠٧.

(١٤٩) سبقت ترجمته.

(١٥٠) البيت الأول إضافة من بغية الوعاة للسيوطي: ١/٢٦٠.

(١٥١) رواية الخريدة: فصرت من أجله بالكبر تُتْهَمُ .

(١٥٢) روى الأيوبي في أخبار الملوك: ٢٨٦ بيتين في أنو شروان الوزير في باب اللام، وهما:

ليس يعطي آمليه سوى حسن قولٍ شِيبَ بالعسلِ

وقيام لا يخلُّ بــه ذا يُكـدِّ آخر العملِ

(١٥٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٣٨٧- ٣٨٨، والخريدة- القسم العراقي: ٢/٢٧٧.

(١٥٤) هو شرف الدين أبو نصر أنو شروان بن خالد بن محمد القاشاني، وزر للخليفة المسترشد، كان من العقلاء الدهاة نبيلاً فاضلاً (ت٥٣٢هـ). الخريدة: ١/٢٤٤.

(١٥٥) الخريدة- القسم العراقي: ٢/٢٨٨.

(١٥٦) أخبار الملوك: ٩١، ووفيات الأعيان: ٦/٥٨.

(١٥٧) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٣٨٨.

مصادر البحث

وهي بعد **القرآن الكريم:**

- **أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء**/ الملك المنصور محمد بن عمر، (ت٦١٧هـ): تحقيق د.ناظم رشيد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠١م.
- **الأعلام**/ خير الدين الزركلي: دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- **الأنساب**/ ابن منصور السمعاني، (ت٥٦٢هـ)، تحقيق: عبدالله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
- **البداية والنهاية**/ ابن كثير الدمشقي، (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، د.أحمد أبو ملحم، د.علي نجيب عطوي، الأستاذ فؤاد السيد، الأستاذ مهدي ناصر الدين، الأستاذ علي عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٣م.
- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**/ السيوطي، (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الحلبي، مصر، ١٩٦٤م.
- **تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**/ شمس الدين الذهبي، (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: د.عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م.
- **تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون**/ الصفدي، (ت٧٦٤هـ)، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩٦م.
- **خريدة القصر وجريدة العصر**/ عماد الدين الأصبهاني، (ت٥٩٧هـ)، تحقيق محمد بهجة الأثري، د.جميل سعيد، ثم انفرد الأثري بالتحقيق مطبعة المجمع العلمي، بغداد، ١٩٥٥/١٩٧٦م.
- **ديوان الحماسة**/ أبو تمام، (ت٢٣١هـ)، برواية أبي منصور الجواليقي (ت٥٤٠هـ)، تحقيق: د. عبد المنعم أحمد صالح، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٧م.
- **ديوان الطرماح بن الحكيم**: تحقيق د.عزت حسن، مطبوعات إحياء التراث القديم، دمشق، ١٩٦٨م.
- **عصر الدول والإمارات (الجزيرة، العراق، إيران)**/ د.شوقي ضيف دار المعارف، مصر، (د.ت).

- **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**/ ابن أبي أصيبعة، (ت٦٦٨هـ)، تحقيق: د.نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).
- **الكامل في التأريخ**/ ابن الأثير، (ت٦٣٠هـ)، تحقيق: د. محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- **لسان الميزان**/ ابن حجر العسقلاني، (ت ٨٥٢ هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠١م.
- **مرآة الزمان في تأريخ الأعيان**/ سبط ابن الجوزي، (ت٦٥٤هـ)، مطبعة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط١، ١٩٥٧م.
- **معجم البلدان**/ ياقوت الحموي، (ت٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.
- **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**/ طاش كبرى زاده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
- **المنتظم في تأريخ الملوك والأمم**/ أبو الفرج ابن الجوزي، (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- **نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب**/ احمد بن محمد المقري التلمساني، (ت٥٨١هـ)، تحقيق: د.احسان عباس، دار صادر بيروت، ١٣٨٨هـ.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ أحمد بن محمد بن خلكان، (ت٦٨١هـ): تحقيق: د.إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (د.ت).